« ان العمل الفني بتسجيله صور العالم انما يعكس بصورة عضوية خصائص وعي الفنان الذي يكون ابدا مؤرخا تسجيليا محايدا ، لقضايا عصره ، بل هو يدافع دائما عن الافكار التي تحمل في رأيه معنى عصره ، والاتجاه الرئيسي لهذا العصر » (٧) ٠

ولذا فان كاتبنا لا يلامس الحزن الانساني بتعاطف وشفقة حيادية ، بل يلتحم بشكل تفجيري احراقي ، ليشتعل العالم القديم ، مبشرا بعالم جديد ، من خلال رؤية فلسفية عميقة لقوانين التطور ٠

البحر مملكة الحرية الصماء التي لم تكتشف ، ولذا فضرورته الطبيعية أشد استعصاء، فلا بد اذن من كشف مجاهل العالم الابكم هذا ، من أجل التقاط قانون الطبيعة ، ومن يلج محراب الطبيعة ، تتفجر الينابيع في داخله ، وتمنحه سرها ٠ و ـ حنا ـ يتفرد بولوجه عالم البحر ، فمنحه البحر لغته ، سر عظمته ، مغاليق سحره ، فكان من اليسير على ـ زكريا المرسنلي ـ ان يكون رب الشاطىء ٠

فعلى الرغم من تأكيد الكاتب بأن أبطاله مركبون لهم حياتهم العريضة وأفكارهم المتشعبة وهمومهم النابعة من مشاكلهم ، فلماذا يمدون له لسانهم ؟

لانهم تشكلوا بلحمهم ودمهم في اتون توهجه الداخلي المستمد من توهج العالم ، ولذا فهم ينقذفون للعراء حارين كدفقة الكون ، نابضين ، مشعين ، ممتصين لون الحياة والقها ٠ وهذا لا ينافي رائحة الواقع التي تخرج من مسام جلودهم ، بل تلك هي جدلية العلاقة بين العالم الفني ، والعالم الواقعي ٠

عظمة شخوصه التي يكن لها الحسد ، والحب والكره ، تتأتى من كونها ، تعانقت مع شعاع قوته الداخلية الفائقة ، لتتحدى جسمانيته الفانية ، ليس حديثا بالميتافيزيك ، بل حوارية التضاد بين ابدية دفقة الكون ، هيولاه ، وفنائية قوامه الخارجي الذي يحكمه نفي النفي ٠

من هنا ولد ـ زكريا المرسنلي ـ من غمار الحياة المتحد مع غمار النفس ٠

على سطح الواقع يتدحرج ككرة مقذوفة ، لكنه يكبر عليه كانسان ، يجتر مع ـ سانتياغو ـ (٨) مرارة اخفاق المواجهة ، لكن الهزيمة لا تحبطه ، بل ينهض من جديد للمواجهة ، لمواجهة الحوت الذي يهاجم شطآن البلدة ٠

كتلة آدمية سديمية ، تسكنها حماقة الواقع وضروراته المستعصية على وعيه الجنيني ، ويواجه الواقع كلعنة قدرية لبدائية فهمه ، وبدائية الوسائل المعروفة في تلك المرحلة التاريخية التي يرصدها الكاتب ٠

يضع ـ الكاتب ـ هذه الكتلة السديمية على مفارق الكشف والاكتشاف ، لتسعيد ذاتها المصادرة في جوف غول الضرورة « أنا زكريا المرسنلي ، رابط الحوت في الماء ، الراقص على ظهره في الماء ، الذي تحدثت اسكندرونة كلها عن فعلته ، ونشرت جريدة (اللواء) صورته مع الحوت » (٩) ٠

هذه هي مأثرة ـ زكريا ـ الرجولة المتفردة ، الفعل المتفرد ، انسان الفعل وحده قادر على الثبات في شريط الزمن الفار ، زكريا المرسنلي يقوم بفعل القتل (قتل زخريادس) ابن اليونانية الخمار ، بعد أن اوهمه من حوله ، بأنه مخدوع من قبل (زخريادس) الذي